**المحاضرة الخامسة والثلاثون**

**المدرسة التطورية**

برز المنهج في العقد الثالث من القرن العشرين موضحاً الاسرة كخلية اجتماعية مهمتها انماء الطفل نفسياً واجتماعياً وتنظيم اقتصاد البيت، ومن خلال هاتين المهمتين صور ايضاً المراحل التطورية التي تمر بها الاسرة بدأ بمرحلة زواج الخطيبين وانتهاء بوفاة احدهما او كلاهما. جاء المنهج متأثراً بالمذهب العضوي الذي ساد اوربا آنذاك، اذ يرى المذهب ان كل شيء في الوجود يخضع لقانون التطور والنمو عبر الزمن بما فيه الاسرة وسلوك الفرد الاجتماعي الذي ينتج عن تفاعله مع افراد اسرته ومحيطه الخارجي، ويرى ايضاً ان لكل مرحلة تطورية ظروف وشروط تلزم الاسرة القيام بمهام معينة لكي تواجه شروط وظروف مرحلة تطورية جديدة او لكي تتقبل حالة التغير القادمة.

وان الاسرة غي مستقلة بذاتها عن باقي الانساق الاجتماعية وبالوقت ذاته غير معتمدة عليها بشكل تام. ازاء هذه الرؤيا وضع المنهج ثمانية مراحل لتطور ونمو الاسرة تسمى دورة حياة الاسرة family life cycle وكانت صاحبة هذا الطرح الدائري ايفلتين ميلز الذي نشرته عام 1957 (عالمة اجتماع امريكية). اوضحت فيه طريقة ومستوى عيش افراد الاسرة، وكشفت ايضاً عن ظروف وشروط كل مرحلة تمر بها الاسرة لكي تشبع الحاجات الثقافية والاجتماعية وتسهل تحول الاسرة من مرحلتها الراهنة الى مرحلة تطورية ارقى، ولمواكبة التغيرات المرحلية. واوضحت ايضاً مهام ومستلزمات كل دور فيها، وتباين تفاعلات افرادها حسب العمر والجنس.

اما المراحل الثمانية الت حددتها ايفلين ميلز لدورة حياة الاسرة فهي ما يأتي:-

1. المرحلة الاولى: تبدأ من زواج الخطيبين وتنتهي قبل ميلاد الوليد الاول (اي اسرة تضم زوجين من دون طفل).
2. المرحلة الثانية: تبدأ من ولادة الوليد الاول وتنتهي لغاية بلوغه سن 30 شهراً (اي اسرة تضم زوجين وطفل).
3. المرحلة الثالثة: تبدأ قبل دخول الابناء للمدرسة وتنتهي لغاية بلوغهم سن الستة اعوام (اي اسرة تضم زوجين وابناء تتراوح اعمارهم من عامين ونصف وتنتهي لغاية ستة اعوام).
4. المرحلة الرابعة: تبدأ من دخول الابناء للمدرسة وتنتهي لغاية بلوغهم سن 13عاماً (اي اسرة تضم زوجين وابناء تتراوح اعمارهم من 6 اعوام ولغاية 13 عام).
5. المرحلة الخامسة: تبدأ من مرحلة المراهقة 13 عام وتنتهي لغاية بلوغ الابناء سن العشرين عام (اي اسرة تضم زوجين وابناء تتراوح اعمارهم بين 13 وتنتهي لغاية 20 عاماً).
6. المرحلة السادسة: تبدأ من مغادرة الابن الاول لأسرته والعيش بعيداً عنها وتنتهي بمغادرة الابن الاخير لها (اي يصبح بيت الاسرة مركز للأبحار الى العوالم الاجتماعية الاخرى).
7. المرحلة السابعة: التي تبدأ من مرحلة العش الفارغ وتنتهي الى مرحلة تقاعد الزوجين او احالتهما على المعاش.
8. المرحلة الثامنة: تبدأ من تقدم عمر الزوجين نحو الشيخوخة وتنتهي بوفاة احدهما او كلاهما.

لقد اوضحت ايفلين ميلز مضمون كل مرحلة تطورية وما تنطوي عليه ففي المرحلة الاولى شطرت ايفلين مساحة هذه المرحلة الى شطرين، يبدأ الاول من زواج الخطيبين وينتهي بمعرفتهم بحمل الزوجة. اطلقت تسمية النوع الاول التأسيسي. اما الثاني التوقعي-الانتظار. في الشطر الاول يواجه الزوجان مهام متعددة ومختلفة مثل تحديد سكن لهما، مقدار دخل الاسرة، تقسيم العمل بين الزوجين داخل الاسرة، الارضاء العاطفي، انماط التفاعل مع الاقارب-الاصدقاء-الجيرة.

اما في الشطر الثاني فهو انتظار الطفل وجمع المعلومات عن الحمل والولادة والامومة من الاقارب والاصدقاء والزملاء.

المرحلة الثانية: تبدأ من ميلاد الطفل الاول وتنتهي حتى بلوغه (2.5)سنة-ثلاثين شهراً في هذه المرحلة يمارس الزوجين ادوار جديدة، دور الاب، دور الام. مع التهيؤ لاستقبال طفل اخر. وازاء ذلك فان الابوين يواجهان مهام تطورية جديدة. فإلام الشابة تحاول موازنة اهتماماتها بطفلها مع زوجها وذاتها. ازاء هذه المهمة عليها ان تقاوم ضغوط الحياة لتتمكن من اجتياز التجربة بنجاح. اما الزوج فانه يواجه مسؤوليات مادية جديدة فضلاً عن سعيه الى اشباع علاقته بزوجته مع مواجهة احتياجات طفله. بينما يواجه الطفل الوليد حالة تطورية متقلبة وغير مستقرة منها ساعات النوم والرضاعة والنظافة الجسدية.

المرحلة الثالثة: مرحلة وجود الزوجين مع الطفل قبل دخوله المدرسة الابتدائية التي تبدأ من عمر الطفل(2سنة -6سنوات). يتعلم الطفل في هذه المرحلة استخدام الحمام، وقت الاكل، وقت الراحة والنوم، كيفية التعامل مع اصدقائه، كيفية اللعب معهم او مع ابويه وهنا قد يأتي الطفل الثاني.

المرحلة الرابعة: تبدأ بدخول الطفل المدرسة الابتدائية وتنتهي ببلوغه مرحلة المراهقة. في هذه المساحة الزمنية يواجه الطفل مهام ومسؤوليات جديدة في اسرته ومدرسته ومع الجنس الاخر. علما بانه تطرأ تغيرات جسمانية عليه تتطلب القيام بسلوكيات تتناسب مع دوره الجنسي. فضلاً عن ذلك في هذه المرحلة يأخذ الفرد الصبي المراهق بعين الاعتبار نظرة الاخرين له اي حكم الاخرين عليه. يستخدمها كموجه لسلوكه اليومي. فضلاً عن ان الاسرة في هذه المرحلة تبدأ الاخذ بآرائه في الامور البسيطة مع اعطائه درجة من الحرية الشخصية في تعامله مع اصدقائه. كما ان المدرسة في هذه المرحلة تطالبه بتنفيذ مهام ومهارات فكرية وعملية تثبت قدراته الذكائية وسمات شخصيته الاجتماعية.

المرحلة الخامسة: تبدأ في عمر الابن 13سنة وتنتهي لغاية وصوله نهاية مرحلة المراهقة التي يعبر فيها عن استقلاليته الشخصية ومشاعره العاطفية. في هذه الفترة الزمنية يبدأ المراهق التفكير بالمهنة، التفكير بسمات الشريك المستقبلي، وهنا تبدأ مرحلة اكتساب ثقته بنفسه وحصوله على دعم ابوية الذي يقوي معنوياته ويساعده في حل مشكلاته المادية والعلائقية.

المرحلة السادسة: مرحلة ابجار المراهق الى عوالم اجتماعية ومهنية بعيدة عن البيت مثل الدراسة في الكلية او الاشتغال في ورشة عمل او الزواج. في هذه المرحلة يكون للأبوين دوراً ومساعداً في اتخاذ قراراته فها. فمثلاً في حالة زواجه او عمله. كما ان الابوان يسعيان الى تقديم المساعدة لابنهما في مختلف مواقف حياته تعبيراً عن حبهم ورعايتهم له فضلاً عن ان الابوان يقدمان المساعدة لأبنائهم لكي لا تبنى بينهم مسافة اجتماعية تمثل فجوة جيليه في الخبرة والعمر والثقافة ولتقليل احتمال وقوع حالات من الصراع بينهم. كما ان الشاب في حالة ابتعاده عن اسرته (اسرة ابويه) في حالة عمله او زواجه فانه يبقى على ارتباطه معهم، بمعنى اخر يكون الرباط الاسري قائم بينهم، انما العيش سوية غير قائم.

المرحلة السابعة: الوحدانية واحالة الابوين على التقاعد وغياب الابناء وقلة المسؤوليات البيتية ووهن الجسد واتساع وقت الفراغ. هنا يتطلب من الزوجين التكيف للمرحلة الجديدة، كما ان الابوان يسعيان في هذه المرحلة الى المحافظة على علاقتهم باسر ابنائهم، مع ظهور ادوار جديدة مثل دور الجد ودور الجدة، او يسعون الى البحث عن وسائل ترفيهية لهما لأشغال الفراغ.

المرحلة الثامنة: تبدأ بعد وقت الاحالة على التقاعد لغاية وفاة احدهما او كليهما. مرحلة الضجر والملل ولاسيما للزوج، هنا يواجه الزوجين نمط حياة جديدة الذي لا يعتمد على دخل مادي كافي بل محدود وان يحافظا في الوقت نفسه على روابطها الاسرية مع ابنائهم واحفادهما واقاربهما واصدقائهما وجيرانهما، وعليهما ايضاً ان يتكيفا لأمراض الشيخوخة التي قد تطرأ على صحتهما. وفي حال موت احد الزوجين، فان الاخر يعيش حياة فارغة وقد يضطر لتغيير سكنه او السكن مع احد اعضاء اسرته (ابنه المتزوج) وهنا قد يواجه الارمل صعوبات وتحديات جديدة امراض الشيخوخة او التكيف للعيش مع حياة جديدة (اسرة جديدة).